الأدب الشعبي: المفهوم والماهية (الشعر أنموذجا)

Folk literature: concept and essence (poetry as a model)

د. حشمان بن عثمان: المركز الجامعي نور البشير (البيض)، الجزائر

Dr. Hashman bin Othman: University Center Nour Al-Bashir (Al-Bayd), Algeria

Email: hachbenot@gmail.com

الملخص:

حاولت الدراسة تسليط الضوء على الجدل القائم حول مصطلح الشعر الشعبي، والتسميات بهذا الشكل التعبيري الذي يعد أرقى فنون الأدب، وأكثر رواجا وإمتاعا للمتلقين على مر العصور، وأوغل في أعماق دلالاته، ولهذا حظيت مسألة هوية القصيدة الشعبية المكانة التي تتبوأها كإنتاج فني في المشهد الثقافي العام لأي أمة، الأمر الذي دعا الباحثون للاهتمام بها من جانبها الجمالي، والأنثروبولوجي، والنفسي، والاجتماعي، ومن ثم أصبح ينظر إلى موقع هذا الشعر بنظرتين، نظرة ترى فيه وفي ثقافته الشعبية تكاملا مع الشعر الرسمي، ونظرة ترى فيه تعارضا معها، وهذا ما جعل مصطلحه يعرف نوعا من الاضطراب وعدم الاستقرار. واستخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي، وتوصلت الدراسة إلى مجموعة من التوصيات أهمها: بذل الجهود المكثفة من قبل الباحثين للاهتمام إلى إيجاد الحلول لمختلف الإشكاليات حول المصطلحات. وأوصت الدراسة بضرورة إقحام الأدب الشعبي كمادة تدريس في المناهج التعليمية.

الكلمات المفتاحية: الشعر، الشعبي، الملحون، المصطلح، العامي

Abstract:

This research paper tried to highlight the controversy over the term popular poetry, and the labels in this expressive form, which is the finest art of literature, and the most popular and enjoyable of recipients throughout the ages, and the most expensive in the depths of its connotations, and that is why the question of the identity of the popular poem has gained its place as an artistic production in the general cultural landscape of any nation, which the researchers called for attention to on its aesthetic, anthropological, psychological and social aspect, and then became seen in the position of this poetry with two looks, which researchers see in it and in His popular culture is integrated with official poetry, and a view that sees him as opposed to it, which is why his term defines a kind of turmoil and instability .The researcher used the descriptive analytical approach, and the study came up with a set of recommendations, the most important of which is: intensive efforts by researchers to find solutions to various problems about

terminology. The study recommended to Introduce popular literature as a teaching material in the curriculum.

Keywords: Poetry, Folk, Salters, Term, Colloquial

المقدمة:

إذا كانت عبقرية أي شاعر وعظمته يستمدها من بيئته عامة، فإنها تؤهله للشاعرية بطريقتها الخاصة، وتطبع إلهامه بطابع خاص، وتزيده أكثر شموخا، وسموا من جراء قسوتها، وانفتاح أفقها على أسرار لا يدركها إلا الشاعر الفذ، وأي شاعر متميز لابد أن يكون لبيئته الفضل في تكوين شخصيته وعبقريته، وإكسابه تلك المكانة من فضائها الرحب، الذي يمنح العقل سعة التفكير والتأمل، وإلهام وجدانه بسحرها وجمالها وصمودها وشدتها، ومن ثم تصبح مصدرا أساسيا، يستمد منها الشعراء كثيرا من أدوات إبداعهم، وتفجر روائع الشعر على ألسنتهم، وتزيد من قدرتهم على التعبير ووصف مشاعرهم، وكل ما يحيط بهم، ولذلك نجد تعلق الشعراء ببيئتهم وحبهم لها.

إشكالية الدراسة:

كان هدفنا من هذه الدراسة طرح الإشكالية المتمثلة في جملة من التساؤلات منها:

- ما هي الشروط التي اعتمدها الباحثون للحكم على شعبية النص الشعري؟
- ما المعايير التي تكشف هوية النص الشعبي؟

منهجية الدراسة:

فيما يخص المنهج المتبع فقد وظفنا في دراستنا المنهج الوصفي التحليلي الذي يتلاءم مع موضوع الدراسة.

أهداف الدراسة:

إبراز الجدل القائم حول مصطلح الشعر الشعبي، والتسميات بهذا الشكل التعبيري الذي يعد أرقى فنون الأدب وأكثر رواجا وإمتاعا للمتلقين.

أهمية الدراسة:

لقد حظيت القصيدة الشعبية اهتماما بالغا من لدن الباحثين، الأمر الذي جعلها تتبوأ المكانة المرموقة بها كإنتاج فني في المشهد الثقافي، لما تميزت به من جمالها الأنثروبولوجي والنفسي والاجتماعي. جعل الباحثون يدرسونها للوقوف على خصائصها المختلفة.

أولاً: ماهية الأدب الشعبي عامة والشعر خاصة:

لقد عاش الأدب أزمانا طويلة، مواكبا لحياة الأمة، يعبر عن أفكارها، ومنازعها ويصور مشاعرها، وتطلعاتها، غير أن فرعا من هذا الأدب، شعره ونثره، كان يعيش باستحياء في عمق المجتمعات، تهمشه نظرة الازدراء، إنه الأدب الشعبي، الذي يحمل بين طياته، نصوصا بعضها غيبة النسيان، وبعضها الآخر حفظته الأذهان، وما بقي منه فقد أتيح له أن يدون ويصان، فهو عنصر هام من ثقافتنا، وأدبنا القوميين، ومقوم أساسي من مقومات الشخصية الوطنية، ظل المرآة الصادقة، التي لم تستطع أن تعبث بها يد الاستعمار الذي عمل كل ما في وسعه لتدمير كل مقومات هذا الشعب، وهو أحد أطراف الهوية الجزائرية، وأحد أجزاء الوجود الثقافي، والحضاري الجزائري الراسخ، يعمق الشعور الوحدوي ويبعث فينا الإحساس بالجمال، وينمي بداخل كل واحد منا العواطف الوطنية المشتركة ويفيدنا بمعلومات قيمة عن الماضي الجزائري، في فترة حرجة، وحساسة، ومميزة وفاصلة، من حياة الأمة الجزائرية ومن تاريخها المجيد، كما يعمق بداخلنا الشعور بالانتماء الطبيعي واللغوي والإقليمي، والديني، لمن ننتمي إليهم بعلاقات قوامها التعاون، والتآزر، فهو إنتاج قولي يعكس التجربة الجمعية، والتمثلات المشتركة بين أعضاء الجماعة، فهو لا يعبر ضرورة عن مزاج قائله المتفرد أو عن ذاته، ولا يبسط تجربته الشخصية، باعتباره عضو منصهر في ذات الجماعة.

فهذا الأدب يحيل إلى مفهوم ثقافي صرف، يفيد الانتماء إلى جماعة، تربط بين أعضائها روابط مختلفة، ويتعلق بالسلوكيات، والممارسات والإنتاجات الجمعية المشتركة يرتكز هذا المفهوم على فكرة الشيوع، والرواج بين العامة. والمراد بها تلك الجماعات المحلية التي تنتمي إلى مجال سكني محدد، أو عضوية، تربط بين أفرادها روابط مختلفة عرقية، أوقرابية أو دينية (سيد حامد، 1986، صفحة 35)، فأنتجت تراثا مشتركا لكل فئات الشعب، وطبقاته المختلفة، التي تجمعها ثقافة مشتركة، من ثم يعبر هذا الأدب عن ثقافة المجتمع برمته «بوصفه تعبيرا فنيا يوظف الكلمة المكتوبة، أو المنطوقة، لتجعل منه أدبا شفاهيا جماعيا، يعتمد على وجود رواة ومستمعين، وقد أضفت عليه المشافهة سمات الاستمرارية والمرونة، والتلقائية، في التعبير وجميعها سمات، تجعل منه أدبا منظما يخضع لنهج محدد» (اسية و السيف، 2006، صفحة 43).

إن أي دراسة، لأي مدونة من الأدب الشعبي، تقتضي تحديد مفهوم طبيعة هذا الأدب والتعريف به، لإبراز أهم خصائصه، وتوضيح معالمه ومن ثم تتضح معالم الشعر الشعبي، باعتباره جنسا من أجناس الأدب الشعبي، ونحن في هذا السياق سنحاول تعريف الشعر الشعبي وفقا لمعايير الشعبية « بغية الوصول إلى رؤية واضحة تفك غموض هذا الأمر على كل من يلتبس عليه التعريف بين الشعر الشعبي والشعر العربي » (مرسي، 2002، صفحة 17)، لكن يصعب علينا تقديم مفهوم للشعر الشعبي يكون محل إجماع « فالمشكلة التي تواجهنا هي عدم وضوح الأسس الفنية للفنون الأدبية الشعبية، وخاصة فن الشعر منها» (سدرات، 1984، صفحة 07)، فهذا الفن لم يحظ بدراسة وافية تمكننا من دراسته، وتناوله بشكل موضوعي دقيق، أضف إلى ذلك " فقدان المصطلح، فكثيرا ما يخلط الدارسون بعض المفاهيم، والتعريفات سواء ما تعلق منها بفنون الشعر الشعبي، أو بفنون النثر الشعبي" (سدرات، 1984، صفحة 07).

والشعر عامة هو شعور، «فإذا ما اهتزت خلجات نفس شاعر بمناسبة فرح أو قرح انبعث من داخلها قول موزون مؤثر، ذو نمط خاص يختلف عن الكلام العادي وهنا تتحكم البيئة وعمق الهزة الثقافية والموهبة، فتنصهر في بوتقة واحدة لتخرج شعرا مصبوغا بها» (غالي، 2016، صفحة 124).وما الشعر إلا من "الشعور، بل هو الشعور بذاته، تفيض به النفس يوقعه الشاعر على أوتار قلبه ويحمله على أجنحة مخيلته... فالشعر هو ما يختلج به الصدر وتفيض به المشاعر قبل أن ينطق به اللسان" (غالي، 2016، صفحة 129).

والشعر هو الشعر، سواء شعبيا كان أم رسميا، بلغة عربية معربة، أو بلغة شعبية وبذلك ينتج الشاعر شعرا يعبر عن حالة نفسية يعيشها، تظهر تحت تأثير المفاهيم التي يستقيها من بيئته، وهناك علاقة متبادلة بين المفاهيم، والمواقف، فإذا ظهر مفهوم جديد في أمة من الأمم، اتخذ شعراء تلك الأمة منه موقفا ما، قد يكون سلبيا، وقد يكون إيجابيا.

وسنستعرض بعض التعريفات للأدب الشعبي، الباحثين في حقل الدراسات الشعبية أهمها قول الباحث أحمد رشدي صالح الذي يقول « فنقاد الأدب المتأثرون بآراء الفلكلوريين أمثال بول سبيو يرون أن الأدب الشعبي لأية أمة هو أدب عاميتها التقليدي، الشفاهي، مجهول المؤلف، المتوارث جيلا عن جيل... وأما أصحاب النظرة الثانية فيعتمدون وسيلة أداء التجربة الفنية (اللغة) ميزانا ... فيرون أن الأدب الشعبي هو أدب العامية، سواء كان شفاهيا أو مكتوبا سواء كان مجهول المؤلف أو معروفه، متوارثا عن السلف السابق أو أنشأه معاصرون، ومعلومون لنا. والرأي الثالث يعتمد محتوى الأدب لا شكله، أي موضوع التجربة الفنية فيه، لا اللغة التي يستخدمها أصحابه، فهو عند أصحاب

هذا الرأي ذلك الأدب المعبر عن ذاتية الشعب، المستهدف تقدمه الحضاري، الراسم لمصالحه، يستوي فيه أدب الفصحى وأدب العامية، وأدب الرواية الشفاهية، وأدب المطبعة والأثر المجهول المؤلف، والأثر المعروف المؤلف (أحمد رشدي، 1971، الصفحات 14-15).

وإذا كان مفهوم الأدب الشعبي، قد ارتبط بشروط اعتبرها الباحثون معايير، بتوفرها يتسنى لهم الحكم على النص أنه نص شعبي، فإن تعريف حسين نصار هو التعريف الشامل لهذه المعايير حين عرفه بأنه الأدب المجهول المؤلف، العامي اللغة، المتوارث جيلا بعد جيل بالرواية الشفوية (حسين، 1980، صفحة 11).

وعلى هذا الأساس يطرح التعريف أربعة معايير، اعتبرها الكثير من الباحثين أساسية للكشف عن هوية النص الشعبي:

1. التأليف (عدم تعيين، وتحديد، ومعرفة، هوية المؤلف أو المنتج مع سيادة الطابع الجماعي إنتاجا، واستهلاكا).
2. التوارث، والتداول، والانتشار.
3. اللغة وذلك باعتماد اللغة العامية البسيطة، والمباشرة.
4. الرواية الشفوية (غياب الكتابة، والتدوين، وهيمنة المشافهة).

إلا أن بعض الباحثين أنكروا أن تكون هذه المعايير لتحدد صفة الشعبية، التي يمكن أن ينعت بها النص الشعري الشعبي، ونحاول الآن مناقشة هذه المعايير ومدى فعاليتها في تحديد هوية النص الشعبي:

1- التأليف: مما لا شك فيه، أن المبدع الشعبي، هو المعبر الحقيقي عن حالة مجتمعه والقادر على التفاعل بصدق مع مشاكله، وهمومه، وهو الموجه نحو تحقيق حياة أفضل وهو القادر على جمع العناصر التي تعيش بالفعل في حياة الشعب، وفي ضميره لكي يكون منها تعبيرا متكاملا ذا مغزى يهم الجماعة (نبيلة، د ت، صفحة 54)، ولعل فكرة جهل مؤلف النص الشعبي، جائزة في أشكاله التعبيرية النثرية منها خاصة، أما الخطاب الشعري الشعبي، فإننا نعني أنه بلا شك هناك مؤلفة معينة سقط اسمه مع الزمن، أو لم يحفظه لنا الرواة، لأنه من الخطأ إرجاع القصيدة الشعبية، إلى أشخاص كثيرين، يشتركون في تأليف القصيدة، وبلورتها، فمن غير الطبيعي أن تتضافر جهود مؤلفين كثر، وتتحد عوامل سياسية، واجتماعية، وتاريخية لإخراج قصيدة إلى حيز الوجود، وإعطائها شكلها

الكامل، والناضج، فالقصيدة الشعبية هي قصيدة معلومة المؤلف بل إن صاحبها يعتبر توقيعها بذكر اسمه تصريحا أو تلميحا ورمزا، أحد مكونات عمله التي يحرص على الالتزام بها... باستثناء حالات قليلة، ونكاد نجزم، ونرى بان كل شعراء الملحون يذكرون أسماءهم، وأحيانا يضيفون أنسابهم ومواطنهم للتعريف بذواتهم، وإعطاء القصيدة هوية خاصة» (عبد الصادق، صفحة 11)

وهذه الخاصية يتفرد بها الشعر الشعبي عن سائر فنون الكلمة فصيحة كانت أو عامية.

ومن هنا نقول، أن القصيدة الشعبية «تتمتع بخاصية الفردانية والذاتية، ومعلوم أن الوعي بالذاتية، والمتمثل في شعور الأنا بالتميز، والفردانية والاستقلال، يعتبر شرطا لإبداعية الذات (عبد الصادق، صفحة 64)» وتحررها من شرنقة الجماعة التي تحصرها في إطار ما هو عام ومشترك.

2- التوارث : يتأثر الأدب الشعبي بعامل آخر، شديد الأهمية، هو التناقل عبر الأجيال فهو «فاعل وأساسي، في تكوين بنية الأدب الشعبي، إذ أن كل جيل، يترك آثارا واضحة في الأثر الشعبي الذي يرويه (طلال، 1999، صفحة 67)»، لأن المضمون هو الذي أعطى النص الشعبي كيانه، ومكانته وهو الذي جعله يتسم بطابع الشعبية، حين مس إحساس كل فرد من الأمة، وشد انتباه كل عضو في المجتمع، وأثر على مشاعر كل شخص على طول المدى، ومن هنا نستطيع أن نحدد للشعبية معلمين أساسيين، الأساس الأول الانتشار والتداول، والثاني التراثية والخلود بحيث يشمل الأساس الأول، مجموع الأمة بكامل طبقاتها، وطوائفها، وأفرادها، وأما الأساس الثاني، فمن خلاله يستطيع الأدب الشعبي أن يطفو فوق السطح، ليقابل كل عنصر بنفس الحدة، والحيوية، ويبقى مع كل جيل بنفس الانفعال، والتأثير (1982، صفحة 143).

3- اللغة: إذا كان من السهل القول بان الأدب المعرب الرسمي، يلتزم الفصحى السليمة، والأدب العامي يلتزم اللهجة العامية الدارجة فإنه من الصعب، تحديد اللغة التي يلتزمها الأدب الشعبي، وإذا كانت العامية تخالف الفصحى، في مجالات أساسية وهي: ترك الإعراب، واستعمال أسماء، ومصطلحات محلية، وعدم وجود قواعد ثابتة، فإننا نستطيع أن نتصور عوامل تقارب، بين لهجة ما وفصحاها. فمن حيث ترك الإعراب يمكن إلى حد ما استعمال الفصحى البسيطة، كما يتم التقارب عن طريق الابتعاد عن الأسماء والمصطلحات المحلية، مع استعمال ألفاظ من الفصحى، سهلة النطق، واسعة الانتشار وهي تقترب من لغة التخاطب بين الجماهير الشعبية " (عبد الله، 1981، صفحة 54) وكذا هو الحال بالنسبة للغة الفصحى، إذا ما سلكت الطريق نفسه، فسيؤدي هذا المسلك إلى لغة الأدب الشعبي، فصحى سهلة وبسيطة، حتى تكاد تقترب من العامية في ظاهرها، ولكنها تقارب كل عاميات اللغة الأم بحيث تكاد تقنع كل لهجة أنها منها، ويمكن إدراجها تحت اسم الشعبية والمقصود بها اللهجة

القريبة من الفصحى، بقدر كبير وفي المقابل توجد لغة الأدب العامي والمراد بها اللهجة الدارجة التي درج عليها الناس (عبد الله، 1981، صفحة 540).

ويرى محمود ذهيني أن: "الأدب الشعبي يمتاز بلغة معينة، من الصعب وصفها، ولكنها على وجه القطع ليست عامية، على أساس الترجيح فصحى راعت السهولة في إنشائها" (محمود، 1972، صفحة 81)، وهذا ما جسده عبد الحميد يونس، من خلال رسمه لهرم يوجد في أعلاه الأدب الرسمي، وعند القاعدة، يوجد الأدب العامي، أما الأدب الشعبي، فهو ذلك الذي يستطيع أن يتخلص من القمة هابطا ليملا السفح كله، أو ذلك الذي يرتقي من القاعدة صاعدا ومنتشرا أعلى السفح بأكمله.

" وعلى هذا، لا ينبغي تسطيح مشكلة اللغة في الشعر الشعبي، وقصر خصائصها على مستوى الخطأ النحوي، أو الصرفي، أو عدم الخضوع لظاهرة الإعراب، لأن القارى للنصوص الجيدة المشهورة للشعر الشعبي، يلاحظ تميز لغته؛ إذ هي ليست عامية كلها، وليست فصيحة كلها بل إنها توظف المستويين اللغويين معا، وتؤلف بينهما لغة خاصة قادرة على إحداث التواصل مع كل المستويات الثقافية" (عبد الحميد، 1968، صفحة 73).

إذن لغة الشعر الشعبي «ليست على الإطلاق لغة عامية، أي لغة العامة من الناس، كما أنها ليست هي اللغة العربية الفصحى المعربة، سواء في شكلها المعياري الحديث أو الكلاسيكي، وإلا لما تميزت بشيء وكانت قصيدة الملحون، مجرد طبعة ثانية، مزيدة أو ناقصة، للقصيدة العربية، بل هي لغة ثالثة، ليست مجرد تركيب ميكانيكي بين العامية والفصحى، بل هي إبداع للغة ثالثة وظف اللغتين معا كمواد خام (عبد الصادق، صفحة 64).

4- الرواية الشفوية (غياب الكتابة والتدوين وهيمنة المشافهة)

أشار عبد الصادق سالم « أن هناك ضرورة لتعميق النظر، في بعض المفاهيم والأفكار والدلالات، التي تبدو أنها أصبحت من البديهيات، والتي تقدم تصورا مغلوطا، أو على الأقل ناقصا لمقومات ثقافتنا، وخصائصها الجوهرية» (عبد الصادق، صفحة 66)، وقد وافقه التلي بن الشيخ، حينما أعلن رفضه أيضا لهذه المعايير قائلا « إن بعض هذه القيود التي وضعت في مرحلة الاهتمام بدراسة الأدب الشعبي، مثل الرواية، والتوارث وجهل المؤلف، لا تشكل تحديدا المفهوم الأدب الشعبي، وقد أصبحت اليوم جزءا من تاريخ الأدب الشعبي، وليست قيدا لمفهومه، فالرواية مثلا لا تقتصر على التعبير الشعبي، وإنما هي عامة، وتشتمل الأدب الرسمي كذلك... والشعر الجاهلي قد وصلنا عن طريق الرواية الشفوية... وفي اعتقادنا أن جهل المؤلف، ومعرفته، لا تحدد مفهوم الشعبية

في الأدب، وإنما ينبغي الاعتماد على دراسة النصوص نفسها، فإذا توفرت المقاييس المطلوبة في النص، كان أدبا شعبيا" (التلي، 1983، صفحة 368)، "فإن من الأهمية بمكان، أن يتمثل الشاعر الشعبي الشروط، والقواعد، التي تحقق لنصه شروط الشعرية، وترتفع بنصه عن اللغة العادية التواصلية، إلى لغة شعرية أدبية مشحونة بالصور الشعرية، والرموز، التي تحقق لدى المتلقي الإيحاء، والتأثر بالمعاني، التي يسوقها الشاعر في قصيدته، متوفرة على عامل الوزن، والقافية والإيقاع" (أحمد، 2008، صفحة 22)، وقد حاول الباحث خليل أحمد خليل أن يضع تعريفا شاملا، قد يساهم في توحيد الرؤى، والحد من الاختلاف والتباين في الآراء حين قال «هو المروي والمكتوب معا، هو الفصيح والعامي مغا، القديم والمتجدد معا، وهو إلى جانب ذلك الحامل ثقافيا لطموح عام لدى الشعب (خليل أحمد، د ت، صفحة 5).

لقد جاء هذا التعريف حاملا لمعظم معايير الشعبية، من لغة الأدب الشعبي، وروايته وخلوده إضافة إلى مضمونه، إلا أنه أسقط اهتمامه بالمؤلف، إذ لو أضاف عبارة معروف أو مجهول المؤلف، لكان تعريفه أشمل.

وهكذا فإنه يصعب علينا وضع تعريف دقيق، وشامل، يساهم في ضبط المصطلح وتوحيده، ويعود ذلك لعدة أسباب أهمها، طبيعة المادة الشعبية، التي تمتاز بالغنى، والتنوع مما زاد من اختلاف الرؤى لدى الباحثين.

ثانيا. المصطلح والأنماط

إن قضية مصطلح الشعر الشعبي، ما تزال تشكل خلافا كبيرا، بين الدارسين، وذلك بسبب دلالة المصطلح، وهي القضية التي أخذت حيزا من النقاش، حيث اجتهد البعض في تعليل وتفسير ما ذهبوا إليه من تسميات، فمنهم من أطلق عليه الشعبي، وآخر العامي والملحون، والزجل، والبدوي.

وتوجد من كل هذه التسميات ثلاثة مصطلحات هي: الشعبي، والعامي والملحون، شاع انتشارها، ودار النقاش حولها، ونتساءل الآن عن أي من هذه المصطلحات كان أعم وأشمل.

1- مصطلح الشعر الشعبي ونمطه:

يرى التلي بن الشيخ أن مصطلح الشعر الشعبي، جاء من نسبته إلى الشعبية، وهي "ظاهرة اجتماعية وثقافية، تتغير بظروف المجتمع، وتكتسب مقوماتها من واقع حياة الناس... وعلى هذا الأساس ينبغي أن ننظر إلى مفهوم الشعبية في إطار رؤية الطبقات الشعبية التي حافظت على الشعر

الشعبي عبر التاريخ الطويل، وأضافت إليه في كل مرحلة أنماطا من التغيرات، حسب ظروفها، وأوضاعها، ومزاجها، وذوقها" (التلي، 1983، صفحة 371).

في مقابل ذلك كان عبد الله ركيبي أكثر دقة في اكتساب اللفظة دلالتها، حين يقول " والشائع أن صفة الشعبية في الأدب تنصرف إلى ماله عراقة، وقدم، وإلى ما يعبر عن روح جماعية بالكلمة، بحيث يصبح هذا الشعر تعبيرا عن وجدان الشعب، وعن قضاياه" (عبد الله، 1981، صفحة 322) ، وقد جاء تحديد صفة الشعبية عند أحمد قنشوبة بقوله «أن النصوص تكتسب صفة الشعبية، من خلال نجاح الأديب، أو الشاعر، في التعبير عن روح الشعب وذاتيته، وتسجيل ما يريد الشعب أن يقوله، وما يهتم به، لا ينبغي أن تصبح ذات الشاعر هنا عائقا أمام نجاحه في هذا السياق إذ قد تهوم به في موضوعات موغلة في الذاتية، مما يحرم نصه من أن يكون شعبيا" (أحمد، 2008، صفحة 20).

والواقع أن ناظم هذا اللون من الشعر، كان يهدف إلى مسايرة ثقافة المتلقي البسيطة ومرجعيته المعرفية، التي أملتها عليه ظروف الحياة، وهذا ما جعل أشعاره في متناول فهم جميع طبقات الشعب، لأنها تعبر عن آمالهم، وآلامهم، فتجاوزت قائلها لتشيع بين الناس وتستحوذ على قلوبهم، وتأخذ مكانة خاصة في نفوسهم إذ أنهم يحبون الاستماع إليها ويحفظون منها الكثير، وتجري على ألسنتهم مجرى الكلام المقدس... ومعنى هذا أن «النص يصبح ملكية عامة بين أفراد المجتمع، ويغدو معلما أدبيا دالا عليها، وتراثا ثقافيا يعتز به الأفراد ولا يملون من ترداده، لأنهم يحسون أن فيه من المميزات، والمضامين ما يعبر عن أحاسيسهم، وحاجاتهم، وأشواقهم، إنهم يجدون أنفسهم التي أحسن الشاعر أو الأديب في التعبير عنها" (أحمد، 2008، صفحة 20).

وإلى مثل هذا الرأي يذهب الدكتور العربي دحو بقوله «والحقيقة أن الاعتماد على صفة الشعبية وحدها، وعلى معرفة المؤلف أو عدم معرفته لا تكفيان لنفي مصطلح الشعبي على هذا الشعر، لأننا نجد أشعارا مدرسية تعرف أصحابها، كتبت بلغة رسمية، لكنها أصبحت شعبية، نتيجة للتداول العام، الذي مس هذه الأشعار، وعلى سبيل المثال نجد أميين يرددون أبياتا لشوقي، والشابي، والمتنبي، ومفدي زكريا، وابن باديس وغيرهم» (العربي، 1989، صفحة 28).

فالآراء المتقدمة كلها، أجمعت على عدم خضوع الأدب الشعبي لمقاييس ومعايير، ورفض جل الباحثين وضعه داخل حدود ضيقة، فهو " أدب أصيل يختلف في بنيته اختلافا عميقا عن الأدب الذاتي الرسمي، الذي يكتب لمدح ملك أحيانا، أو أمير، أو للتعبير عن وجهة نظر مؤلفه، التي قد تكون بعيدة كل البعد عن هموم شعبه؛ فالأدب الشعبي أدب صادق يعبر عن هموم الشعب كله، ومشاكله الاجتماعية والسياسية" (العربي، 1989، صفحة 20)، وتذكرنا طريقة كتابته وتداوله بنظرية الكاتب

المسرحي الألماني، بريخت الذي دعا الممثلين إلى التعاون والاشتراك في كتابة المسرحية التي يريدون تمثيلها، ثم دعا إلى إشراك جمهور المشاهدين في العرض المسرحي، فشكل بنظريته التقدمية هذه الثورة في عالم المسرح.

فالأدب الشعبي نتاج تشاركت الجماعات في كتابته، بشكل مباشر، أو غير مباشر ويسهم المشاهدون في تقديمه، ولعب أدواره (طلال، أولية اللص، نظرات في النقد والقصة والأسطورة والأدب الشعبي، 1999، صفحة 79) ، وتكتسب النصوص صفة الشعبية، من خلال نجاح الأديب، أو الشاعر، في التعبير عن روح الشعب، وذاتيته وتسجيل ما يريد الشعب أن يقوله، وما يهتم به.

2- مصطلح الشعر العامي ونمطه:

"يختلف الأدب الشعبي عن الأدب العامي اختلافا جوهريا، فالأدب العامي يعتمد اعتمادا أساسيا على اللغة العامية المتداولة، إذ يشترط فيه أن يكون لفظه ملحونا، عاطلا عن الإعراب، بعيدا كل البعد عن التزام الفصحى التي هي أساس الأدب الرسمي، وإلا لما وجد فرق بين الأدبين العامي، والفصيح، فالأدب العامي كالأدب الفصيح، يعبر عن خلجات شخص معين، وتطلعاته، فهو أدب شخص بعينه، يعبر عن مشاعره باللغة العامية" (طلال، أولية اللص، نظرات في النقد والقصة والأسطورة والأدب الشعبي، 1999، صفحة 63).

ومن أبواب الأدب العامي المشهور الزجل " والدوبيت والكان كان التي ذكرها صفي الدين الحلي في كتابه العاطل الحالي والمرخص الغالي"، هذه الفنون التي إعرابها لحن وفصاحتها لكن، برع فيه الأندلسيون ويمتاز بتجدد أوزانه، وتعدد قوافيه، فهو عامي اللغة، ولكنه يشبه الموشحات من ناحية الأوزان، فنجد مثلا الشاعر الشعبي (الحوزي) المعروف في الجزائر ينظم على أوزان الموشحات، والأزجال، والتي تسمى القصيد لأنها تشبه بناء القصيدة العربية التقليدية المعروفة من حيث الشكل ،إذ صدر من شعراء يملكون زمام الثقافة الشعرية ولكنهم يصدرونه بروح شعبية، أما من حيث الوزن فهي تنظم وفق أوزان الموشحات أولا يخضع لذلك، وإنما يتحكم الشعراء أنفسهم في هذا الشعر بالموازنة بين عدد الحركات، والسكنات بين عمودي القصيدة، ويبقى هذا النوع محتفظا بإحدى القوانين الشعرية المعروفة في الشعر العربي، وهو وحدة قافية القصيد من أول بيت فيه إلى آخره.

ومن الطبيعي أن تكون للطبقات الشعبية لغة بسيطة مشتركة بين جميع أفرادها هي لغة الحياة اليومية، ومن الطبيعي أيضا أن تنتج هذه اللغة أدبا، يعبر عن مظاهرها الثقافية والاجتماعية " قد

نسميه في شيء من التحفظ أدبا عاميا، ولكننا لا نسميه أدبا شعبيا يستعمل اللهجة العامية بتراكيبها الشائعة، أي أنه خال من الصياغة الفنية" (أحمد م.، 1967، صفحة 19).

وهذا ما جاء به الشيخ البشير الإبراهيمي بقوله:" هناك نزعات لا يقوم في التعبير عنها إلا الشعر، فإذا علم الناس الشعر البليغ الفصيح المتين، تشوقت نفوسهم إلى قوالب موسيقية تصاغ فيها تلك المعاني، التي لا يؤديها إلا الشعر، ولا يتأثر الناس بها إلا من الشعر ... والعوام في كل زمان، وفي كل دولة أكثر عدد من المثقفين، فلا جرم أن يولعوا بالشعر العامي ويتناقلونه، ويحفظونه، ويرددونه، في مجتمعاتهم لقرب معانيه من نفوسهم فهم لا يهتزون للشعر الفصيح، الذي لا يفهمون معانيه العميقة، ويهتزون لهذا الشعر" (محمد البشير، 2010، صفحة 33).

فهو أدب " اللهجات أو أدب الأقاليم، بمعني أدب الحياة اليومية للجماعة، متمثلة في البيئة المحدودة، ومتطلباتها، وظروفها، هو سريع التطور، والتغيير، والتجارب، مع كل مقتضيات العصر ...ويتوسل في التعبير بالكلمة، والإشارة والحركة، والإيقاع، تماما مثله مثل الأدب الشعبي " (التلي، 1983، صفحة 48).

ولهذا نجد أن هذا الشعر تغلب عليه البساطة (التلي، 1983، صفحة 23) لأن لغته هي لغة التخاطب في الحياة اليومية.. يتخاطب به العوام قد يعجب به بعض الناس، لكن شعبيته تقتصر على فئات دون أخرى (التلي، 1983، صفحة 23)، فهو يختلف عن الشعر العربي الفصيح في شيء وهو أنه شعر إقليمي يقصر فهمه إلا على ذلك الإقليم، لاشتراك شعرائه في المدارك، والتصورات الخاصة بهم (محمد البشير، 2010، صفحة 24).

ومن منطلق الاصطلاح فقد عاب عبد الله الركيبي على من سمى هذا الشعر بالعامي، بنظرتهم التي يقصدون بها الشعراء، الذين لا يحسنون الكتابة، والقراءة يقول: " إن تسمية هذا الشعر بالعامية توحي بأن قائله أمي، لا معرفة له باللغة قراءة وكتابة، وقد توحي إلينا أيضا بأن المتلقين له من الأميين، وبأن هذا الشعر لا صلة له بالفصحى، من قريب أو من بعيد" (عبد الله، 1981، صفحة 348)، والواقع غير ذلك قد يكون القائل أميا، وقد يكون متعلما بصورة أو بأخرى مثل المتلقي أيضا، وذلك أن بعض القصائد على الرغم من أنها لا تراعي القواعد اللغوية فهي في روحها فصيحة لأن ألفاظها، وعباراتها، مما يدخل في تركيب الفصحى.

ومما يؤخذ على تعريف الركيبي، فهمه لمصطلح العامي، بأنه يعني جهل القراءة والكتابة، سواء بالنسبة للمؤلف، أو للمتلقي، بالإضافة إلى التقارب بين اللغتين الفصحى والعامية، ولن تكون

هذه الأخيرة غير مظهر من مظاهر التغيير، والتطور من الأولى، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فإن الشعر العامي، حسب الدكتورة نبيلة إبراهيم هو " الشعر الذي يمتلكه الفرد الواحد، وهو الخاص به وقد يكسب طابع الشمول، إذا تبناه الشعب فاتسم بطابع الشعبية" (نبيلة، د ت، صفحة 77) .

الخاتمة:

توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج، منها:

- اكتسبت النصوص صفة الشعبية من خلال نجاح الشاعر في التعبير عن روح الشعب، وذاتيته وتسجيل ما يريده الشعب أن يقوله وما يهتم به.
- إن القصيدة بوصفها تشكيلا جماليا، فهي ليست إلا بنية لغوية مكونة من بنيات جزئية، تمثل في مجملها تعبيرا متميزا.
- إن الفروق اللغوية بين اللهجات المحلية هي فروق جوهرية على المستوى الصرفي والنحوي والدلالي والبلاغي، وما لغة الشعر الملحون إلا استمرار تاريخي للهجات القبائل العربية القديمة، وهي ليست انزياحا أو انحرافا أو لحنا للفصيحة المقررة، بل جزءا منها.
- وفي الأخير، فإننا على يقين أن الشعر الشعبي ما يزال بحاجة إلى تكثيف الجهود للعناية به كونه ذاكرة الأمة الثقافية والحضارية والتاريخية.

قائمة المراجع:

إبراهيم نبيلة. (د ت). أشكال التعبير في الأدب الشعبي. مصر: دار النهضة.

أحمد رشدي, ص. ، .(1971). الأدب الشعبي .مصر :مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.

أحمد, ق .(2008). البناء الفني في القصيدة الشعبية الجزائرية منطقة شمال الصحراء أنموذجا، جامعة باتنة، 2008، ص) .21ر .د .العلوم، (Performer, باتنة, جامعة باتنة, الجزائر.

اسية, ب .ن & .,السيف, ا .(2006). الحكاية الخرافية و الشعبية العمانية، دراسة في الشكل و المحتوى .مجلة الفنون الشعبية .43 ,(80)

الإبراهيمي، محمد البشير. (2010). التراث الشعبي و الشعر الملحون في الجزائر، تحقيق عثمان السعدي. الجزائر: ، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع.

التلي, ب .ا .(1983) .دور الشعر الشعبي في الثورة 1830إلى .19458الجزائر :الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.

السيسي غالي. (2016). الشعر الشعبي، 2016، ص124. مجلة الفنون الشعبية العدد 70، الجمعية المصرية للماثورات الشعبية، القاهرة، ، 124.

الصباغ مرسي. (2002). قراءة جديدة في الشعر الشعبي العربي. مصر: ، دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر، الإسكندرية.

العربي, د .(1989) .الشعر الشعبي و دوره في الثورة التحريرية الكبرى بمنطقة الأوراس من 1954-1962.الجزائر :، المؤسسة الوطنية للكتاب.

حرب طلال. (1999). أولية اللص، نظرات في النقد والقصة والأسطورة والأدب الشعبي. بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1999، .

حرب طلال. (د ت). أولية النص نظرات في النقد والقصة والأسطورة والأدب الشعبي.

حريز سيد حامد. (1986). تحديد مفهوم الأدب الشعبي . مجلة المأثورات الشعبية، عدد يوليو ، مركز التراث الشعبي لدول الخليج العربي ، 03.

خليل أحمد, خ) .د ت .(الشعر الشعبي الليفائي دراسة و مختارات .,بيروت :، دار الطليعة.

سدرات, م .الشعر الشعبي في الجزائر .الثقافة الشعبية في الجزائر ، من 28إلى 30أفريل 1984، . ، مجموعة محاضرات الأيام الدراسية, الجزائر.

عبد الحميد, ي .(1968) .الدلالية في التاريخ والأدب الشعبي .القاهرة :، دار المعرفة، القاهرة.

عبد الصادق, س .فن الملحون ظاهرة الشعر المغربي شعر الملحون بين ثقافتين العالمية والشعبية . منشورات وزارة الثقافة والاتصال .مراكش.

عبد الله ركيبي، الأوراس في الشعر العربي و دراسات أخرى .(1982) .الجزائر :، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.

عبد الله, ر .(1981) .الشعر الديني الجزائري .0الجزائر :، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.

محمود, ذ .(1972) .الأدب الشعبي العربي مفهومه ومضمونه .مصر :دار الأدب العربي للطباعة .

مرسي أحمد. (1967). الأدب الشعبي العربي المصطلح و حشوده. مجلة الفنون الشعبية، (21)، 19.

نصار حسين. (1980). الشعر الشعبي العربي. بيروت- لبنان: منشورات إقرأ.